الكيانية الفلسطينية وفكرة الدولة

د. عصام سخنيني، **فلسطين الدولة ـ جذور المسألة في التاريخ الفلسطيني**، نيقوسيا: مركز الابحاث ـ م ت ف، ١٩٨٥. ٢٧٤ صفحة.

يذهب الدكتور عصام سخنيني، في كتابه هذا، في رسم صورة وافية للمسألة التي تصدى لدراستها، وجعل منها عنواناً لكتابه، في الاطار الزمني الذي حدّده لها، في عهد الانتداب والسنتين أو السنوات الثلاث التي اعقبته، (ص ١٢) وهو يبرر اختياره لهذه المرحلة بأنها «رسمت قواعد المسألة ومكوناتها الاساسية، وشهدت بدايات النشوء» (الصفحة نفسها).

ومنذ المقدمة، يطرح المؤلف العناصر الاساسيين فيما آلت اليه فكرة «دولة فلسطين» في المراحل التالية، وهما

أولاً: ان الحدود الجغرافية والامتداد الجغرافي للاقليم الفلسطيني تأطر «بفعل المصالح الدولية في المنطقة والتنافس فيما بينها الذي كان يأخذ، أحياناً، شكل علاقة الصراع ما بين اطرافه، واحياناً تفرض عليه ضرورات التوازن ما بين هذه الاطراف علاقة التوافق او المصالحة او التواطؤ، بحيث قرر تفاعل الصيغتين معاً (الصراع والتوافق) شكل امتداد الاقليم الجغرافي وحجمه، ارضاً وسكاناً، في ضوء موازين قوى الصراع وتغالبها السياسي وحسابات الأرباح والخسائر لكل منها» (الصفحة نفسها).

ثانياً: وفي المقابل، «فإن الفلسطينيين، وقد تأطروا سكانياً ومن ناحية السكان، وجدوا انفسهم إزاء حالة خاصة بهم، دون سواهم من عرب المنطقة، محورها عملية سلب منهجية لوجودهم الوطني... واستلاب كامل لأرضهم... وهكذا، وإزاء هذه الحالة الخاصة، وفي صدد الدفاع عن الذات الوطنية أمام ما يتهددها من محن، تبلورت هوية الشعب الفلسطيني وتمايزت وطنياً بفعل خصوصية مكوّنات قضيتها وهمومها واهدافها» (ص ١٣ و١٤).

ويمكن اعتبار الكتاب برمّته تتبعاً دقيقاً للتفاصيل التي كوّنت هاتين الحقيقتين، باستثناء التمهيد الذي يدور حول اسم «فلسطين» ومدلولاته السياسية منذ اقدم العصور وحتى مطلع القرن الحالي.

والواقع، ان الكيانات السياسية العربية الحالية، وخاصة في منطقة بلاد الشام، لم تكن «مؤطرة كما هي صورتها الآن.

وفلسطين بحدودها المتعارف عليها، الآن، لم تكن «وحدة إدارية واحدة أواخر العهد العثماني، وانما توزعت إدارياً بين ولاية بيروت التي انفصلت عن ولاية سوريا في العام ١٨٨٧، ومتصرفية القدس المستقلة التي فصلت، ايضاً، عن الولاية نفسها في العام ١٨٨٢» (ص ٢٢). غير ان سقوط الامبراطورية العثمانية خلال الحرب العالمية الاولى والأعوام القليلة التي اعقبتها، وسعي الدول الاوروبية المنتصرة في الحرب الى إقتسام اجزائها «كان مناسبة لانشاء كيانات إقليمية في المنطقة، متعارضة مع أماني شعوبها التي كانت مركزة في إقامة دولة عربية واحدة ذات سيادة على جميع الاراضي العربية» (ص ٢٣).